

معاني الكلمات :

خاشعة : ذليلة منكسرة .

ترهقهم ذلة : يخشاهم ذل وخسران .

سنستدرجهم : سنريهم من العذاب حتى

نوقعهم فيه .

مغرم : غرامة ذلك الأجر .

مكظوم : مملوء غيظا .

يزلقونك : يهلكونك بأعينهم .

صرصر عاتية : شديدة قارسة .

أعجاز نخل خاوية : جذوع نخل بلا

رؤوس .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على سنة الحرب بين الله وأعدائه والمخدوعين .

٢ - أن نعلم أن مشقة الدعوة الحقيقية هي مشقة الصبر لحكم الله .

٣ - أن نعلم حال المكذبين وما نالهم من الهول .

المحتوى التربوي :

يكمل السياق رسم هيئة هؤلاء المتكبرين المتبجحين ، والأبصار الخاشعة والذلة المرهقة هما المقابلان للهامات الشاخنة والكبرياء المنفوخة ، وبينما هم في هذا الموقف المرهق الذليل ، يذكرهم بما جرهم إليه من إعراض واستكبار ، وامتنعوا عن السجود في الدنيا وهم قادرون ، فكانوا يأبون ويستكبرون .. فهم الآن في ذلك المشهد المرهق الذليل والدنيا وراءهم وهم الآن يدعون إلى السجود فلا يستطيعون !

وبينما هم في هذا الكرب ، يجيئهم التهديد الرعيب الذي يهد القلوب ، وهو تهديد منزل والجبّار القهار القوى المتين يقول للرسول ﷺ : خل بيني وبين من يكذب بهذا الحديث ، وذرنى لحربه فأنا به كفيل ، ومن هو هذا الذي يكذب بهذا الحديث ؟ إنه ذلك المخلوق الصغير الهزيل

المسكين الضعيف ، هذه النملة المضعوفة ، بل هذه الهباءة المثورة ، بل هذا العدم الذى لا يغنى شيئاً أمام جبروت الجبار القهار العظيم ، فيا محمد ، خل بينى وبين هذا المخلوق ، واسترح أنت ومن معك من المؤمنين ، فالحرب معى لا معك ولا مع المؤمنين ، الحرب معى وهذا المخلوق عدوى ، وأنا سأتولى أمره فدعه لى ، وذرنى معه ، واذهب أنت ومن معك فاستريحوا .

ثم يكشف لهم الجبار القهار عن خطة الحرب مع هذا المخلوق الهزيل الصغير الضعيف ، وإن شأن المكذبين وأهل الأرض أجمعين لأهون وأصغر من أن يدبر الله لهم هذه التدابير ، ولكنه سبحانه يحذرهم نفسه ليدركوا أنفسهم قبل فوات الأوان ، وليس أكبر من التحذير وكشف الاستدراج والتدبير عدلا ولا رحمة ، والله سبحانه يقدم لأعدائه وأعداء دينه ورسوله عدله ورحمته فى هذا التحذير وذلك النذير ، وهم بعد ذلك وما يختارون لأنفسهم ، إنه سبحانه يمهل ولا يهمل ، ويملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

وفى ظل مشهد القيامة المكروب وظل هذا التهديد المرهوب يكمل الجدل والتحدى ويخاطب الرسول ﷺ فى تعجب من موقفهم : أنسألهم أجراً على ما أتيتهم به من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحق ، فهم من ثقل ذلك أداء ذلك الأجر مثقلون ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا الدخول فيما دعوتهم إليه ، أم يعلمون الغيب فهم يكتبون منا ما يحكمون به ، فيجادلونك بما فيه ، وإذا كان هذا ولا ذاك فما هم يقفون هذا الموقف الغريب المريب ؟ !

بهذا يخلى الله النبى ﷺ والمؤمنين من المعركة بين الإيمان والكفر وبين الحق والباطل ، فهى معركته سبحانه وهى حربه التى يتولاها بذاته ، وهى حقيقة تسكب الطمأنينة فى قلب المؤمن فى حالتى قوته وضعفه على السواء ما دام يخلص قلبه لله ويتوكل فى جهاده على الله ، كما أنها حقيقة تفرغ قلب العدو ، سواء كان المؤمن أمامه فى حالة ضعف أم فى حالة قوة ، فليس المؤمن هو الذى ينازله ، إنما هو الله الذى يتولى المعركة بقوته وجبروته .

وأمام هذه الحقيقة يوجه الله نبيه ﷺ إلى الصبر ، الصبر على تكاليف الرسالة ، والصبر على التواءات النفوس ، والصبر على الأذى والتكذيب ، الصبر حتى يحكم الله فى الوقت المقدر كما يريد ، ويذكره بتجربة أخ له من قبل ضاق صدره بهذه التكاليف وهو يونس عليه السلام صاحب الحوت ، فلولا أن تداركته نعمة الله لنبذ وهو مذموم ، مذموم من ربه على فعلته وقلة صبره ، وتصرفه فى شأن نفسه قبل أن يأذن الله له ، وقبل الله تسبيحه واعترافه وندمه ، وعلم منه ما يستحق عليه النعمة والاجتباء ، وجعله من الصالحين لمقام النبوة والرسالة ، ومشقة الدعوة الحقيقية هى مشقة الصبر لحكم الله حتى يأتى مواعده ، فى الوقت الذى يريده بحكمته .

وفى الختام يرسم مشهد الكافرين وهم يتلقون الدعوة من الرسول الكريم فى غيظ عنيف ، وحسد عميق ينسكب فى نظرات مسمومة قاتلة يوجهونها إليه ، ويصفها القرآن بما لا مزيد عليه ،

فهم من شدة تحديقهم ونظرهم بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك ، وبين تعالى أن هذا النظر كان يشتد منهم في حال قراءة النبي ﷺ للقرآن ، ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : إنه لمجنون لمجيئه بالقرآن ، والله يعقب بأنه ذكر ، والذكر لا يقوله مجنون ، ولا يحمله مجنون ، وصدق الله وكذب المفترون .

سورة الحاقة

هذه السورة بجملتها تلقي في الحس بكل قوة وعمق إحساسا واحدا بمعنى واحد وهو أن هذا الأمر ، أمر الدين والعقيدة جد خالص حازم جازم ، جد كله لا هزل فيه ، ولا مجال فيه للهزل ، جد في الدنيا وجد في الآخرة ، وجد في ميزان الله وحسابه ، والقيامة ومشاهدتها وأحداثها تشغل معظم هذه السورة ، ومن ثم تبدأ هذه السورة باسمها ، وتسمى به ، وهم اسم مختار بجرسه ومعناه ، فالحاقة هي التي تحق فتقع ، أو تحق فتنزّل بحكمها على الناس ، أو تحق فيكون فيها الحق ، ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام والتجهيل ، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك ، فأمر الحاقة أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك .

ويبدأ الحديث عن المكذبين ، وما نالهم من الهول ، فقد كذبت بالقارعة وهو اسم جديد للحاقة - ثمود وعاد فلننظر كيف كانت عاقبة التكذيب ؛ فثمود قد أسكتتهم الصيحة ، وأسكتتهم الزلزلة ، وأما عاد فيفصل في أمر نكبتها وبطيل ، فقد استمرت وقعتها سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما على حين كانت وقعة ثمود خاطفة ، صيحة واحدة طاغية ، والريح الصرصر الشديد الباردة ، واللفظ ذاته فيه صرصرة عاتية لتناسب عتو عاد وجبروتها المحكى في القرآن ، وكانوا أشداء بطاشين جبارين .

والتعبير يرسم مشهد العاصفة المزعجة المدمرة المستمرة هذه الفترة الطويلة المحددة بالدقة سبع ليالٍ وثمانية أيام ، ثم يعرض المشهد بعدها شاخصا ، والمنظر معروض تراه ، والتعبير يلمح به على الحس حتى يتملاه ، فهم مصروعون مجدلون متناثرون كأنهم قواتم نخل إذا خرت بلا أعصان ، فهل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم ؟ بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلقا .

ما ترشدنا إليه الآيات تروبيًا :

١ - وجوب التمسك بالحق ، وعدم المساومة عليه .

٢ - لا يجوز أن ننخدع بإمهال الله للظالمين ، أو إعطائهم النعم استدراجا لهم ليقعوا في العذاب الأليم .

٣ - يجب أن نتعظ بما حدث للسابقين ، حتى لا يصيبنا ما أصابهم من هلاك في الدنيا وعذاب يوم القيامة .

معانى الكلمات :

- رابية : زائدة فى الشدة .
 تعيها : لتحفظها .
 فدكتا : فدقتا وكسرتا أو فسويتا .
 انشقت : تصدعت من الهول .
 واهية : ضعيفة متداعية .
 سلطانيه : حجتى أو تسلطى وقوتى .
 صلوه : أدخلوه أو أحرقوه .
 فاسلكوه : فأدخلوه فيها .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم كيفية الانقلاب الكونى لنهاية الحياة الأولى وبداية الحياة الثانية .
- ٢ - أن نعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة .
- ٣ - أن نعلم أن المال الذى باع المفلسون به الأمة والملة لا يغنى يوم القيامة عن صاحبه شيئاً .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى ذكر المكذبين ، وفى آيتين يحمل وقائع شتى ففرعون كان فى مصر - وهو فرعون موسى - ومن قبله لا يذكر عنهم تفصيل ، والمؤتفكات قرى لوط المدمرة التى اتبعت الإفك أو التى انقلبت ، ويحمل السياق فعال هؤلاء جميعاً ، فيقول عنهم إنهم جاؤوا بالفعل الخاطئة ، وهم عصوا رسلاً متعددين ولكن حقيقتهم واحدة ورسالتهم فى صميمها واحدة ، فهم إذن رسول واحد ، يمثل حقيقة واحدة ، وفى إجمال يذكر مصيرهم فى تعبير يلقي الهول والحسم حسب جو السورة ، فأخذهم أخذة شديدة مهلكة .

ثم يرسم مشهد الطوفان والسفينة الجارية، مشيراً بهذا المشهد إلى مصرع قوم نوح حين كذبوا، ومختاً على البشر بنجاة أصولهم التى انشقوا منها ، ثم لم يشكروا ولم يعتبروا بتلك الآية الكبرى ، ومشهد طغيان الماء ومشهد الجارية على الماء الطاغى يلمس القلوب الخاملة والأذان البليدة التى

تكذب بعد كل ما سبق من النذر وكل ما سبق من المصائر ، وكل ما سبق من الآيات ، وكل ما سبق من العظات ، وكل ما سبق من آلاء الله ونعمه على أصول هؤلاء الغافلين ، والهول في هذه المصارع - على ضخامتها - محدود إذا قيس إلى هول القارعة المطلق من المحدود المدخر لذلك اليوم المشهود ، وهنا يكشف عن الهول كأنه التكملة المدخرة للمشهد الأولى .

ونحن نؤمن أن هناك نفخة في الصور وهو البوق تحدث بعدها هذه الأحداث ، ولانزید في تفصيلها شيئاً ؛ لأنها غيب ، ليس عندنا من دلائله إلا مثل هذه النصوص المجملة ، وليس لنا مصدر آخر لتفصيل هذا الإجمال ، ومشهد حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة تسوى عاليها بسافلها مشهد مروع حقا ، هذه الأرض التي يجوس الإنسان خلالها آمناً مطمئناً ، وهى تحية مستقرة مطمئنة ، وهذه الجبال الراسية الوطيدة الراسخة التي تهول الإنسان بروعتها واستقرارها ، هذه مع هذه تحمل فتدك كالكرة في يد الوليد .. ، إنه مشهد يشعر معه الإنسان بضآلته وضآلة عالمه إلى جانب هذه القدرة القادرة في ذلك اليوم العظيم ، فإذا وقع هذا فقد قامت القيامة والواقعة اسم من أسماؤها كالحاقة والقارعة . ولا يقتصر الهول على حمل الأرض والجبال ودكها دكة واحدة ، فالسما في هذا اليوم الهائل ليست بناحية ، والأحداث الكونية في ذلك اليوم العظيم كلها تشير إلى انفراط عقد هذا الكون المنظور ، واختلال روابطه وضوابطه التي تمسك به في هذا النظام البديع الدقيق ، وتناثر أجزائه بعد انفلاتها من قيد الناموس .

ثم يغمر الجلال المشهد ويغشيه ، وتسكن الضجة التي تملأ الحس من النفخة والدكة والتشقق والانتثار ، يسكن هذا كله ويظهر في المشهد عرش الواحد القهار ، والملائكة على أرجاء هذه السماء المنشقة وأطرافها ، والعرش فوقهم يحمله ثمانية ، أو ثمانية صفوف منهم ، أو ثمانى طبقات من طبقاتهم ، أو ثمانية مما يعلم الله ، لا ندرى نحن من هم ولا ما هم ، كما لا ندرى نحن ما العرش ؟ ولا كيف يحمل ؟ ونخلص من كل هذه الغيبات إلى الظل الجليل الذي تخلقه على الموقف ، وهو المطلوب منا أن تستشعره ضائرنا ، وهو المقصود من ذكر هذه الأحداث ليشعر القلب البشرى بالجلال والرهبه والخشوع في ذلك اليوم العظيم .

وفي ذلك الموقف الجليل ، الكل مكشوف ، مكشوف الجسد ، مكشوف الضمير ، مكشوف العمل ، مكشوف المصير ، وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار ، ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره ، ويفتضح منه ما كان حريصا على أن يستره حتى عن نفسه ، وما أقى الفضيحة على الملأ ، وما أخزاها على عيون الجموع ، أما عين الله فكل خافية مكشوفة لها في آن ، ولكن لعل الإنسان لا يشعر بهذا حق الشعور وهو مخدوع بستور الأرض .

يقول صاحب الظلال : « ألا إنه لأمر عصيب ، أعصب من ذلك الأرض والجبال وأشد من تشقق السماء ، وقوف الإنسان عريان الجسد ، عريان النفس ، عريان المشاعر ، عريان التاريخ ، عريان العمل ما ظهر منه وما استتر ، أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله من الإنس والجن والملائكة ، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع » .

وبعدئذ يعرض مشهد الناجين والمعذبين ، كأنه حاضر تراه العيون ، فيعرض السياق مشهد الناجي في ذلك اليوم العصيب ، وهو منطلق في فرحة غامرة بين الجموع الحاشدة ، وهو في هتاف افرؤوا كتابيه ، فلم يكن يصدق أنه ناج ، بل كان يتوقع أن يناقش الحساب ، ثم يكون الإعلان على رؤوس الأشهاد ما أعد لهذا الناجي من النعيم ، فهو في عيشة مرضية ، في جنة عالية ، رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيم دورها ، دائم حبورها ، ثمارها قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريريه ، ويقال لهم : كلوا واشربوا وتمتعوا بما عملتم في الأيام الماضية في الدنيا ، تفضلا وامتنانا وإنعاما وإحسانا من الله تعالى .

أما المعذب الذي عرف أنه مؤاخذ بسيئاته ، وأن إلى العذاب مصيره ، فيقف في هذا المعرض الحافل الحاشد ، وقفة المتحسر الكسير الكئيب ، والسياق يطيل عرض هذه الوقفة حتى ليخيل إلى السامع أنها لا تنتهي إلى نهاية ، ويتمنى ذلك البائس أنه لم يأت هذا الموقف ، ولم يؤت كتابه ، ولم يدر ما حسابه ، كما يتمنى أن لو كانت هذه القارعة هي القاضية التي تنهى وجوده أصلا فلا يعود بعدها شيئا ، ثم يتحسر أن لا شيء نافعه مما كان يعتز به أو يجمعه ، فلا المال أغنى أو نفع ، ولا السلطان بقى أو دفع .

ويأتى الأمر العلوي الجازم بجلاله وهوله وروعته بأن يأخذه ﴿ خُدُوهُ ﴾ كلمة تصدر من العلى الأعلى فيتحرك الوجود كله على هذا المسكين الصغير الهزيل ، ويتدبره المكلفون بالأمر من كل جانب ، كلهم يبتدر هذه الحشرة الصغيرة المكروبة المذهولة ، فأى السبعين ألفا بلغه جعل الغل في عنقه ، ويصلى الجحيم ونكاد نسمع كيف تشويه النار وتصليه ، وذراع واحدة من سلاسل النار تكفيه ، الأمر يأتى بسبعين ذراعا بذراع الملك ، تدخل في استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون كما ينظم الجراد في العود حين يشوى .

فإذا انتهى الأمر نشرت أسبابه على الحشود: إنه قد خلا قلبه من الإيثار بالله ، والرحمة بالعباد ، فلم يعد هذا القلب يصلح إلا لهذه النار وذلك العذاب ، خلا قلبه من الإيثار بالله فهو موات وهو خرب ، وخلا قلبه من الرحمة بالعباد ، والمسكين هو أحوج العباد إلى الرحمة ، ولكن هذا لم يستشعر قلبه ما يدعوه إلى الاحتفال بأمر المسكين ، ولم يحض على طعامه ، وهي خطوة وراء إطعامه ، ترحى بأن هناك واجبا اجتماعيا يتحاض عليه المؤمنون .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

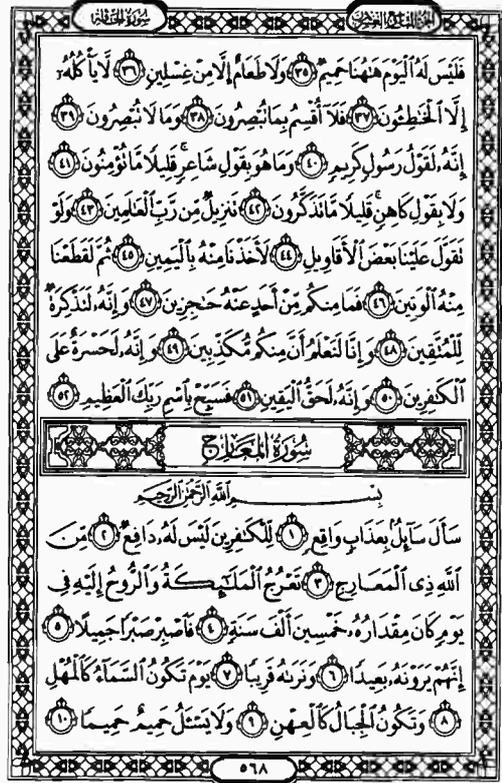
١ - لا بد من الاستعداد لليوم الآخر بالإيثار والعمل الصالح حيث يفرح المؤمنون بالثواب العظيم .

٢ - إن لله ملائكة ينفذون أمره يجب الإيثار بهم .

٣ - عناية الإسلام بإطعام الفقراء ، ومساعدة الضعفاء ، وتحريض الناس على ذلك مما يؤدي إلى تماسك الأمة .

معاني الكلمات

- يحض : يحث ويحرض .
 حميم : قريب مشفق لشدة الهول والعذاب .
 غسلين : صديد أهل النار .
 تقوّل : اختلق وافتري علينا .
 الوتين : يناط القلب .
 حاجزين : مانعين الهلاك عنه .
 كالمهل : كالمعدن المذاب أو دردى الزيت .
 كالعهن : كالصوف المصبوغ ألوانا .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن العقيدة هي الجذ الذي لا هوادة فيه ، ولا تحتل تسامحا ولا مجاملة لأحد كائنا من كان .
- ٢ - أن نعلم أن القرآن عميق في الحق ، عميق في اليقين ، ويكشف عن الحق الخالص في كل آية .
- ٣ - أن نستشعر الرهبة من أهوال يوم القيامة .

المحتوى التربوي :

يمضى السياق فيذكر تكملة الإعلان العلوى عن مصير ذلك الشقى ، فلقد كان لا يؤمن بالله العظيم ، وكان لا يحض على طعام المسكين ، فهو هنا مقطوع فليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم - وهى القريب ولا شفيع يطاع ، وهو ممنوع فلا طعام له هاهنا إلا من غسلين ، وهو غسالة أهل جهنم من قيح وصدید ، وهذا طعام لا يأكله إلا المذنبون المتصفون بالخطيئة ، وهو منهم فى الصميم .

يقول صاحب الظلال : « وبعد ، فذلك هو الذى يجعله الله مستحقا للأخذ والغل والتصلية والسلسلة التى ذرعها سبعون ذراعا للجحيم ، وهو أشد دركات جهنم عذابا ، فكيف بمن يمنع

طعام المسكين ، ومن يبيع الأطفال والنساء والشيوخ ، ومن يبطش بطشة الجبارين بمن يمد إليهم يده باللقمة والكساء في برد الشتاء ؟ أين ترى يذهب هؤلاء ، وهم يوجدون في الأرض بين الحين والحين ؟ وما الذي أعده الله لهم وقد أعد لمن لا يحض على طعام المسكين ، ذلك العذاب في الجحيم ؟ » .

وفي ظل هذه المشاهد العميقة الأثر في المشاعر يجيء التقرير الحاسم الجازم عن حقيقة هذا القول الذي جاءهم به الرسول الكريم ، فتلقوه بالشك والسخرية والتكذيب ، والأمر لا يحتاج إلى قسم أنه حق ، صادر عن الحق ، وليس شعر شاعر ، ولا كهانة كاهن ، ولا افتراء مفتر لا فها هو بحاجة إلى توكيد بيمين ، والوجود أضخم بكثير مما يرى البشر بل مما يدركون ، وما يبصر البشر من الكون ، وما يدركون إلا أطرافا قليلة محصورة ، فلا يعيش الإنسان سجين ما تراه عيناه ، ولا أسير ما يدركه وعيه المحدود ، فهناك وراء ما تدركه عينه ووعيه عوالم وحقائق أكبر - بما لا يقاس - بما وصل إليه ، عندئذ يتسامى على ذاته ويرتفع على نفسه ، فالذين يحصرون أنفسهم في حدود ما ترى العين ، ويدرك الوعي ، بأدواته الميسرة له .. مساكين ! سجناء حسهم وإدراكهم المحدود ، محصورون في عالم ضيق على سعته ، صغير يقاس إلى ذلك الملك الكبير .

وتقرير أنه قول رسول كريم لا يعنى أنه من إنشائه ، ولكن المراد هنا أنه قول من نوع آخر لا يقوله شاعر ، ولا يقول كاهن ، إنما يقوله رسول يرسل به من عند الله ، فيحمله من هناك من ذلك المصدر الذي أرسله ، والتعقيب في الآيات مدلوله نفى الإيثار ، ونفى التذكر ، فما يقول مؤمن عن الرسول : إنه شاعر ، ولا يقول متذكر متدبر ، إنه كاهن ، إنما هما الكفر والغفلة ينضحان بهذا القول النكير .

وفي النهاية يجيء التهديد الرعيب لمن يفترى على الله في شأن العقيدة وهي الجد الذي لا هوادة فيه ، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره وهو صدق الرسول ﷺ وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه ، بشهادة أن الله لم يأخذه أخذا شديدا كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ ، فلو تقول بعض الأقاويل التي لم يوح بها إليه ، لأخذاها الله فقتله بتقطيع يناط القلب ، وما يقدر أحد على أن يحجز بينه وبين الله إذا أراد به شيئا من ذلك ، وتجيء الخاتمة بحقيقة الأمر ، فهذا القرآن يذكر القلوب النقية فتذكر ، ولا يؤثر في حقيقة هذا الأمر أن يوجد منكم مكذبون ، وإن هذا القرآن لندامة على الكافرين بما يرفع من شأن المؤمنين ، ويحط من قدر المكذبين ، وبما ينتهي إليه من إقرار الحق وإزهاق الباطل ، ثم أنه حجة عليهم عند الله في اليوم الآخر ، وإن هذا القرآن هو الحق الذي لا مرية فيه ، فهو حق اليقين وليس مجرد اليقين ، ويجيء التلقين العلوي بالتسبيح بما فيه من تنزيه وتمجيد ، وبما فيه من عبودية وخشوع .

سورة المعارج

كانت حقيقة الآخرة من الحقائق العسيرة الإدراك عند مشركى العرب ، ولقد لقيت منهم معارضة نفسية عميقة ، وكانوا ينكرونها أشد الإنكار ، ويتحدون الرسول ﷺ في صور شتى أن